محمد إبراهيم محمد عمر همد محمود

حجاج القرآن في قضايا الإيمان

دراسة في أساليب الحجاج القرآني

FOR AUTHOR USE ONLY

AL ILM PUBLISHING

حجاج القرآن في قضايا الإيمان

هذه رسالة مختصرة في بيان نماذج من حجاج القرآن الكريم في قضايا الإيمان، وتهدف إلى بيان الجوانب الحجاجية التي احتواها القرآن في معرض دعوته إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، وما يتعلق بذلك من قضايا الإيمان، إذ لم يكتفِ القرآن بالدعوة إلى ذلك، وإنما تخطاها إلى مقارعة المشركين بالحجة البينة والرد المقنع على كل ما أثاروه من شبهات، وما احتجوا به من حجج واهية، للتشبث بمعتقداتهم الفاسدة، التي تتنافى مع الفطرة السليمة والعقول الرشيدة.

وقد جمعت مادة هذه الرسالة بغرض التصنيف في خصائص خطاب القرآن المكي، وشاء الله أن تخرج بعض موضوعاتها في دراسات محكمة منشورة في المجلات العلمية، ومن ذلك نشر جزء من تلك المادة في دراسة بعنوان (مظاهر التنويع في أسلوب خطاب القرآن المكي: بيان أهوال يوم القيامة وأحواله نموذجاً)، التي نشرت في مجلة تسليم في المجلد (11)، العدد (21) بتاريخ يونيو 2022م، كما نشر جزء من تلك المادة في دراسة بعنوان (مباني قصص القرآن المكي وخصائصه الفنية)، التي نشرت في مجلة الآداب للعلوم الإنسانية في العدد (8) بتاريخ يونيو 2024م، أما بقيَّة المادة- التي تشكل مسودة هذه الرسالة- فنشرت في شكل مقالات في مدونتي على الإنترنت (نبع اليراع)، وهاهي الآن تجتمع بين دفتي كتاب باسم (من حجاج القرآن في قضايا الإيمان)، فأسأل الله التوفيق فيه وأن يهديني سبيل الصواب.

مؤلفات أخرى للمؤلف:1. العامل النحوي بين التقعيد والتعقيد.2. الخطاب والسرد في رواية عرس الزين .3. أركان الجملة في اللغة العربية.4. الأدب التفاعلي بين مؤيديه ومعارضيه.5. الذكاء الاصطناعي في الأدب والإعلام والاتصالات.6. تداعيات الأزمة الأخلاقية لجائحة كورونا.7. خصائص أسلوب أحمد خالد توفيق في روايات سفاري.

ISBN: 978-613-6-32700-6

محمد إبراهيم محمد عمر همد محمود

حجاج القرآن في قضايا الإيمان

FOR AUTHOR USE ONLY

FOR AUTHOR USE ONLY

محمد إبراهيم محمد عمر همد محمود

حجاج القرآن في قضايا الإيمان

دراسة في أساليب الحجاج القرآني

FOR AUTHOR USE ONLY

Al Ilm Publishing

Imprint
Any brand names and product names mentioned in this book are subject to trademark, brand or patent protection and are trademarks or registered trademarks of their respective holders. The use of brand names, product names, common names, trade names, product descriptions etc. even without a particular marking in this work is in no way to be construed to mean that such names may be regarded as unrestricted in respect of trademark and brand protection legislation and could thus be used by anyone.

Cover image: www.ingimage.com

Publisher:
Al Ilm Publishing
is a trademark of
Dodo Books Indian Ocean Ltd. and OmniScriptum S.R.L publishing group

120 High Road, East Finchley, London, N2 9ED, United Kingdom
Str. Armeneasca 28/1, office 1, Chisinau MD-2012, Republic of Moldova, Europe
Printed at: see last page
ISBN: 978-613-6-32700-6

Copyright © محمد إبراهيم محمد عمر همد محمود
Copyright © 2024 Dodo Books Indian Ocean Ltd. and OmniScriptum S.R.L publishing group

FOR AUTHOR USE ONLY

من حجاج القرآن في قضايا الإيمان

محمد إبراهيم محمد عمر همَّد محمود

FOR AUTHOR USE ONLY

استهلالية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } (سورة فاطر: الآية: ٤٠)

FOR AUTHOR USE ONLY

مقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله وخاتم الأنبياء أجمعين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، ثم أما بعد: هذه رسالة مختصرة في بيان نماذج من حجاج القرآن الكريم في قضايا الإيمان، وتهدف إلى بيان الجوانب الحجاجية التي احتواها القرآن في معرض دعوته إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، وما يتعلق بذلك من قضايا الإيمان، إذ لم يكتفِ القرآن بالدعوة إلى ذلك، وإنما تخطاها إلى مقارعة المشركين بالحجة البينة والرد المقنع على كل ما أثاروه من شبهات، وما احتجوا به من حجج واهية، للتشبث بمعتقداتهم الفاسدة، التي تتنافى مع الفطرة السليمة والعقول الرشيدة.

وقد جمعت مادة هذه الرسالة بغرض التصنيف في خصائص خطاب القرآن المكي، وشاء الله أن تخرج بعض موضوعاتها في دراسات محكمة منشورة في المجلات العلمية، ومن ذلك نشر جزء من تلك المادة في دراسة بعنوان (مظاهر التنويع في أسلوب خطاب القرآن المكي: بيان أهوال يوم القيامة وأحواله نموذجاً)، التي نشرت في مجلة تسليم في المجلد (11)، العدد (21) بتاريخ يونيو 2022م، كما نشر جزء من تلك المادة في دراسة بعنوان (مباني قصص القرآن المكي وخصائصه الفنية)، التي نشرت في مجلة الآداب للعلوم الإنسانية في العدد (8) بتاريخ يونيو 2024م، أما بقيَّة المادة– التي تشكل مسودة هذه الرسالة– فنشرت في شكل مقالات في مدونتي على الإنترنت (نبع اليراع)، وهاهي الآن تجتمع بين دفتي كتاب باسم (من حجاج القرآن في قضايا الإيمان)، فأسأل الله التوفيق فيه وأن يهديني سبيل الصواب.

المؤلف

FOR AUTHOR USE ONLY

المبحث الأول

السلم الحجاجيُّ في خطاب القرآن المكيِّ: توحيد الإلوهية نموذجاً

تعريف السلم الحجاجي لغة واصطلاحاً

السُّلَم في اللغة هو: الدرجة والمرقاة."[1] أما الحجَّة في اللغة فهي: "البرهان ، وقيل الحجَّة ما دُوفِع به الخصم."[2]

امَّا الحجاج في الاصطلاح فيقصد به: "تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب".[3]

ويقصد بالسلِّم الحجاجيِّ: "مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التاليين:

1. كل قول يقع في مرتبة ما من السلَّم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجودة في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

2. كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه."[4]

FOR AUTHOR USE ONLY

نستنتج من هذا القول أنَّ السلَّم الحجاجيَّ عبارة عن مجموعة من الحجج المرتَّبة، والتي يعضِّد بعضها بعضاً في التدليل على مدلول معيَّن، وعلى الرغم من تفاوتها في المراتب إلا أنَّها تصلح كلَّها في التدليل على المعيَّن موضوع الحجاج.

الغرض من الخطاب الحجاجيِّ

كانت قريش كغيرها من قبائل العرب تعبد الأصنام وتعظِّم شأنها، فبعث الله النبيَّ صلى الله عليه وسلم هادياً ونذيراً، فدعاهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام والأوثان التي كانوا يعبدونها، فبدأ دعوته سراً بأهله وعشيرته الأقربين، ثم صدع بالدعوة لما أُمِر بذلك في قوله تعالى: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}[5]

وفي بداية الأمر لم يحفلوابه، ثم بدأت العداوة بينهم وبينه تزداد لما بدأ يعيب آلهتهم، وسلكوا كلَّ السبل من ترغيب وترهيب وتنكيل به ولكلِّ مَنْ آمن به، وذلك في سبيل إثنائه عن دعوته، أو على الأقلّ أن يكف عنهم فلا يدعوهم إلى ترك دين آبائهم، ولا يسفِّه عقولهم، ولا يتعرض بالعيب لآلهتهم.[6]

ولما استمرَّ النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته- حاول المشركون الردَّ بإنكار وحدانية الله سبحانه وتعالى وقالوا: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}[7] في هذه الآية الكريمة بيان لحال المشركين وموقفهم من وحدانية الله، وذلك لما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى عبادة الله وحده وأن يقولوا (لا إله إلا الله)، حينها أبدوا تعجبهم واستغرابهم فقالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً.[8] وزادوا على ذلك ما ذكره الله تعالى عنهم: {وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ}[9] إذاً لم يكتفِ هؤلاء المشركون بمجرد الاستغراب واستنكار الأمر، بل سعى سادتهم وكبراؤهم على تحريضهم على الصبر والمضي قدماً في عبادة آلهتهم المزعومة، وكانت علَّتهم في رفض دعوة الوحدانية راجعة إلى أن وراء تلك الدعوة التسيّد عليهم من قِبَل النبي صلى الله عليه وسلم فيكونوا أتباعاً له في ذلك، لذلك لن يجيبوه إلى تلك الدعوة، دعوة وحدانية الله.[10] ثم ذكروا عدم سماعهم بهذا الأمر في ملة النصرانيَّة التي تقول بالتثليث وتعدُّد الآلهة، لذلك لن يكون هذا الأمر سوى افتعال وكذب من النبي صلى الله عليه وسلم على حسب زعمهم.[11] وقد ذكر هذا في قوله تعالى على لسانهم: {مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ}[12]

ويتضح مما سبق أنَّ المشركين أنكروا وحدانية الله، واحتجوا على ذلك بأمرين:

الأول: هذه الدعوة إلى وحدانية الله مجرد ستار لتمرير منفعة شخصية لشخص النبي صلى الله عليه وسلم، وليست دعوة قائمة بذاتها ومقصودة لذاتها.

FOR AUTHOR USE ONLY

الآخر: عدم سماعهم بهذا حتى من أصحاب الملل الأخرى كالنصرانيَّة، وهذا يعني ضمناً أن تعدُّد الآلهة ليس أمراً خاصَّاً بهم بل يشاركهم فيه غيرهم من المِلَل.وهذان السببان ليسا مقنعين في تبريرهم لعبادة الآلهة، إذا كان يقتضى لو صحَّ زعمهم –استنكارهم وحدانية الله– أن يكون لهذه الآلهة نصيب وأثر واضح في تدبير أمر الكون وتسييره بأنهم آلهة وقد كان للقرآن الكريم طريقته وأسلوبه المميَّز والمفحم في الردِّ عليهم، وإيراد الحجج الدامغة التي تهدم عقيدتهم وإيمانهم بتعدد الآلهة. وقد ردَّ عليهم القرآن بردود وحجج دامغة تنسف تلك الافتراءات التي نسجوها حول قولهم بتعدُّد الآلهة.

الحجة الأولى– تعدد المخلوقات والخالق واحد

عدَّد القرآن الكريم بعضاً من مخلوقات الله، مع سؤالهم عمَّن خلقها ويملكها على سبيل التقريع والتوبيخ، وفي هذا إشارة إلى أن آلهتهم المزعومة لم تخلق شيئاً فعلامَ تؤلَّه أصلاً؟ وهذه طائفة من الآيات التي تتحدث عن ذلك:

1. قال تعالى: {قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}[17] في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأن يسأل المشركين عمَّن يملك السماء والأرض.[18] وجاء الكلام على صيغة الاستفهام وفيه استهانة بهم لفرط جهلهم بهذا الأمر البيِّن الواضح.[19]

2. قال تعالى: {قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}[20] وفي هذه الآية الكريمة يأمر الله نبيه بسؤال المشركين عمَّن هو ربُّ السماوات السبع وربُّ العرش العظيم.[21]

3. قال تعالى: {أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[22]وهنا يسأل الله المشركين عمَّن خلق لهم الأرض ليستقروا فيها، وجعل فيها الأنهار الجارية، كما خلق فيها الجبال الثوابت، وجعل حاجزاً فاصلاً بين الماء العذب والماء المالح فلا يفسد أحدهما الآخر، فهل من إلهٍ من آلهتهم فعل شيئاً من تلك الأشياء فاستحق أن يُشرَك في العبادة مع الله.[23]

FOR AUTHOR USE ONLY

4. قال تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ}[24] وكانت تلك طائفة من مخلوقات الله، سأل الله المشركين عمَّن خلقها، والغرض من الاستفهام التقريع والتوبيخ لأنَّهم يعلمون في قرار أنفسهم أنَّ الله خالق هذه المخلوقات، ولكن بسبب جدالهم عدَّد الله لهم ذلك وسألهم عمَّن خلقها، وقطعاً لجدالهم في هذا الموضوع سألهم عمَّا إذا كانوا يعرفون أي مخلوقات أخرى غير التي ذكرت وخلقتها آلتهم، وذلك كما في الآيات التالية:

أ- قوله تعالى: {هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}[25]

ب- وقوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }[26]

وبعجزهم عن الإتيان بمثال واحد لمخلوق من خلق آلهتهم المزعومة- يصبح تأليهها ضرباً من السَّفه، والغلو في الشيء ووضعه في منزلة غير منزلته الطبيعية، فلا يعقل أن توضع تلك الآلهة المزعومة أفكاً في مرتبة واحدة من الإلوهية مع الله الإله الحقُّ تعالى الله عن كل ذلك علواً كبيراً.

FOR AUTHOR USE ONLY

الحجة الثانية- الله قادر وآلهتكم عاجزة

وللقرآن طريقة ثانية في مقارعة المشركين بالحجة على وحدانية الله، ألا وهي طريقة المقابلة بين قدرة الله الإله الحق وعجز أفكهم المزعوم بآلهة غير الله، وذلك كما في الآيات التالية:

1. قال تعالى: {قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}[27]

وفي هذه الآية الكريمة بيان أن الله يجير من أراد ممن قصده سوء، ولا أحد يمنع منه لو أراده بسوء، فلا أحد يستطيع دفع عذابه وعقابه عنه.[28]

2. قال تعالى: {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ}[29] في هذه الآية الكريمة يسأل الله المشركين عما من هو خير: ما يشركون به أم الذي يجيب المضطر ويكشف عنه السوء إذا دعاه؟ كما يستخلف منكم أمراء ومنكم خلفاء أحياء سيخلفونهم، ثم يسألهم هل من إله مع الله يفعل شيئاً من ذلك.[30] ثم نفى عنهم التذكُّر بقوله(قليلا ما تذكرون)، ويستخدم لفظ القليل ليعني النفي في سياق بعض الكلام كما هو مستخدم في الآية الكريمة.[31]

3. قال تعالى: { أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[32] في هذه الآية الكريمة يسأل الله تعالى المشركين: أما يشركون به خير أم الذي يهديكم في الظلمات إذا ضللتم، كما يسألهم عمن يرسل الرياح بشراً لقدوم الغيث الذي يحي به الأرض بعد موتها، فهل من إله آخر مع الله يفعل شيئاً من ذلك، تعالى الله علواً كبيراً عن شركهم وعبادتهم من دونه.[33]

4. قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[34] في هذه الآية الكريمة بيان أن الشدة والرخاء بيد الله سبحانه وتعالى دليل واضح لمن أراد الإيمان بالله إذا تدبر هذه الحجة وغايتها ورآها.[35]

5. قال تعالى: {أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ}[36] في هذه الآية الكريمة ذكر أن تلك الآلهة المزعومة لا تنفع ولا تضر، وقد جاء ذلك في سياق حجاج إبراهيم عليه السلام مع قومه في عبادة الأصنام.[37]

6. قال تعالى: {قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ}[38] في الآية الكريمة بيان بأن الله هو من يهدي إلى الحق، ويعجز شركاؤهم عن هدايتهم إلى الطريق القويم وإرشاد الضال منهم.[39] كما قيل في

FOR AUTHOR USE ONLY

تفسيرها أيضاً أن هذه الأوثان التي لا تهتدي إلى أين تنتقل إلا أن تنقل، فهل هي أحق بالإتباع من الله الذي يهدي إلى الحق.[40]

ويتضح من خلال الاطلاع على مفردات هذه الحجة: أنَّ آلهتهم ليست عاجزة عن الخلق من العدم فحسب بل أنها ليس لها نصيب في تصريف أمر من أمور الكون، بل حتى أنَّها عاجزة عن تدبير أمر أنفسها، فلا تملك لأنفسها دفع الضِّر عنها، وجلب النفع لها، فهي من باب أولى أعجز عن نفع غيرها أو ضرِّه، وأنَّ كلَّ ذلك جميعاً بيد الله تعالى لا يشاركه فيه شريك، ولا ينازع فيه منازع جل شأنه وعلا علواً كبيراً.

الحجة الثالثة– تعدد النعم والمنعم واحد

عدَّد الله تعالى نعمه على المشركين لما لها من دلالة على وحدانيته من جهة، ومن استحقاقه للعبادة وحده من جهة أخرى، وفي الآيات التالية طائفة من نعم الله على عباده:

1. قال تعالى: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }[41]وفي هذه الآية الكريمة تذكير المشركين بنعم الله عليهم، حيث خلقهم في بطون أمهاتهم ولم يكونوا يعلمون شيئاً عن ذلك المنعم الخالق، ثم أنعم عليهم مرة أخرى بأن جعل لهم سمعاً وبصراً وفؤاداً لكل منهم، وكل هذا ما يستحق أن يقابل بالشكر لا بالشرك والكفر.[42]

2. قال تعالى: { أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ }[43]في هذه الآية الكريمة يقول الله تعالى المشركين: من الذي سيطعمكم ويسقيكم إن أمسك ربكم رزقه عنكم.[44]

3. قال تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ}[45]في هذه الآية الكريمة يأمر الله نبيه أن يقول المشركين: إن جعل الله الليل عليهم متصلاً غير منقطع إلى يوم القيامة فأي إله غير الله يأتيهم بضياء النهار؟[46]

FOR AUTHOR USE ONLY

4. قال تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}[47] وفي هذه الآية الكريمة يأمر الله نبيه بأن يقول المشركين: إن جعل الله عليكم النهار متصلاً غير منقطع إلى يوم القيامة فأي إله غير الله يأتيكم بليل تستقرون فيه وتهدؤون؟[48]

كانت تلك طائفة من نعم الله التي أنعم بهم عليهم، وما لم يذكر أكثر، ولم يشاركه فيها إله من أفكهم المزعوم، فلو كانوا صادقين ومنصفين في قولهم بتعدُّد الآلهة لكانوا هم عباداً لهذا الإله الذي أنعم عليهم بتلك النعم، ولما أشركوا في عبادته من لم يشاركه في الإنعام عليهم بتلك النعم.

الحجة الرابعة– استحالة قبول تعدد الآلهة عقلاً

وقد بين الله سبحانه وتعالى استحالة وجود آلهة مع الله، والعقل السليم يعرف ذلك ويقرُّ به، وقد جاء القرآن بحجة من هذا، وذلك كما في الآيات التالية:

1. قال تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ}[49] في هذه الآية دليل عقليٌّ على وحدانية الله، فلو كانت هنالك آلهة غير الله لانفرد كلُّ إله بما خلق، ولغالب القوي الضعيف منهم على عادة الملوك، ولأصبح الضعيف مغلوباً لا يستحق الإلوهية، وكل هذا يدلُّ في النهاية إلى انتفاء الشريك مع الله تعالى في ملكه وعباده ومخلوقاته.[50]

2. قال تعالى: {قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا}[51]

وفي هذه الآية الكريمة يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول المشركين: لو كان مع الله آلهة كما يزعمون، إذاً لالتمست تلك الآلهة المرتبة والمنزلية عنده، ولكنه تفرد في إلوهيته وعلا عن ذلك علواً كبيراً.[52]

ويتضح من كل هذا استحالة تعدُّد الآلهة عقلاً، لما يجب أن يحدث بينها من مغالبة، ولانفراد كل إله بما خلق، ولكن المشركين لعنادهم وكبرهم أصروا على الشرك بالله وعبادة غيره معه.

FOR AUTHOR USE ONLY

الحجة الخامسة– المطالبة بالدليل

وبعدما تبين أنَّ كل الأدلة العقلية والموضوعية تقتضي وحدانية الله، وتدحض تخرصاتهم القائلة بتعدد الآلهة– طالبهم القرآن بالإتيان بدليل من علم أو وحي قبل النبي صلى الله عليه وسلم يؤكد ما يقولونه في هذا الصدد، وذلك كما في الآيات التالية:

1. قال تعالى: {أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ}[53]

2. قال تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}[54]

3. قال تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}[55]

FOR AUTHOR USE ONLY

ويتضح من خلال السياحة السابقة أنَّ المشركين قد أثاروا كثيراً من الشبهات والافتراءات التي استندوا عليها في تبرير إشراكهم بالله، وقد جاء القرآن المكي بالحجج الدامغة التي نسفت تلك الافتراءات وفندتها، وكانت تلك الحجج مرتبة من حيث القوة في التدليل على وحدانية الله كما يلي:

1. حجَّة الخلق: الله هو الخالق ومعبوداتهم مخلوقة، ويلزم من ذلك استحقاقه للعبودية وحده دون منازع.

2. حجَّة القدرة: الله قادر على كل شيء ومعبودتهم عاجزة، وهذه الحجة تأتي في مرتبة أدنى من الحجة السابقة، وتشترك معها في التدليل على استحقاق الله للعبودية وحده دون منازع.

3. حجَّة النعم: الله هو المنعم التي عمَّت نعمه جميع المخلوقات بما في ذلك المشركين الذين يشركون غيره في عبادته، وهذه النعم جزء من مخلوقات الله من جهة ودليل على قدرته من جهة أخرى، وتأتي هذه الحجة في مرتبة أدنى من

الحجتين السابقتين من جهة كونها الخلق أعم والقدرة أخص من الخلق، والإنعام جزء مخصوص من القدرة، وتشترك هذه الحجة مع الحجتين السابقتين في التدليل على استحاق الله للعبوديَّة وحده دون منازع.

4. حجَّة العقل: لا يقبل العقل السليم فكرة تعدُّد الآلهة، لاستحالة تحقُّقها، فلو وُجِدَ أكثر من إله في الكون لاختلَّ نظامه، نتيجة لما يحدث من صراع بين الآلهة للتغلُّب في الملك، وفي هذا دليل على أنَّ الإله واحد وهو خالق هذا الكون والقادر على حفظه وإزالته من الوجود.

5.حجَّة النقل: تدل كل الأدلة النقليَّة(الرسالات السماويَّة) على توحيد الله، فيلزم من ذلك على المنكر الاتيان بدليل من العلم النقلي على تعدُّد الآلهة، وهذه الحجَّة تقل مرتبة عن الحجج السابقة في كون الحجج السابقة لا يمكن إنكارها جهلاً، بخلاف هذه الحجَّة ربما ينكرها بعضهم جهلاً بها أي لم يمكنهم الوصول إليها، كما تلتقي مع الحجج السابقة في التدليل على استحاق الله للعبوديَّة وحده دون منازع.

وهذه الحجج مازلت قائمة وصالحة للرد على كل من أنكر إلوهية الله سبحانه وتعالى واستحقاقه العبادة وحده لا شريك له.

FOR AUTHOR USE ONLY

هوامش المبحث الأول:

---

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (ت. د)، مادة: (سلم)، ج12/ ص 299.

(2) المرجع السابق، مادة: (حجج)، ج: 2، ص: 228.

(3) أبوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، 2006م، ص 16.

(4) طه عبد الرحمن، اللسان والميزن أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998م، ص 277.

(5) سورة الحجر: الآية: ٩٤.

(6) ابن هشام، السيرة النبوية، ج: ١/ ص (٢٩٥- ٢٩٨).

(7) سورة ص: الآية: 5.

(8) الطبري، تفسير الطبري، تحقيق: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994م ، ج6/ص ٣٣٥.

(9) سورة ص: الآية: 6.

(10) الطبري، تفسير الطبري، ج ٦/ ص: ٣٣٥.

(11) الزمخشري، محمود بن عمر، تفسير الكشاف، تعليق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، 2009م،ص ٩١٩.

(12) سورة ص: الآية: ٧.

(17) سورة المؤمنون: الآية: ٨٤.

(18) الطبري، تفسير الطبري، ج ٥/ص ٣٨٠.

FOR AUTHOR USE ONLY

(19) الزمخشري، تفسير الكشاف، ص ٧١٣.

(20) سورة المؤمنون: الآية: ٨٦.

(21) الطبري، تفسير الطبري، ج ٥/ ص ٣٨٠.

(22) سورة النمل: الآية: ٦١.

(23) الطبري، تفسير الطبري، ج ٥/ ص ٥٧٤.

(24) سورة العنكبوت: الآية: ٦١.

(25) سورة لقمان: الآية: ١١.

(26) سورة فاطر: الآية: ٤٠.

(27) سورة المؤمنون: الآية: ٨٨.

(28) الطبري، تفسير الطبري، ج ٥/ص ٣٨١.

(29) سورة النمل: الآية: ٦٢.

(30) الطبري، تفسير الطبري، ج ٥/ ص ٥٧٥.

(31) الزمخشري، تفسير الكشاف، ص ٧٨٧.

(32) سورة النمل: الآية: ٦٣.

(33) الطبري، تفسير الطبري، ج ٥/ ص (٥٧٥-٥٧٦).

(34) سورة الروم: الآية: ٣٧.

(35) الطبري، تفسير الطبري، ج6/ص (١٠٧- ١٠٨).

(36) سورة الأنبياء: الآية: ٦٦.

FOR AUTHOR USE ONLY

(37) الطبري، تفسير الطبري، ج ٥/ ص ٢٦٥.

(38) سورة يونس: الآية: ٣٥.

(39) الطبري، تفسير الطبري، ج ٤/ ص ٢٠٨.

(40) الزمخشري: تفسير الكشاف، ص ٤٦٣.

(41) سورة النحل: الآية: ٧٨.

(42) الزمخشري، تفسير الكشاف، ص ٥٨٠.

(43) سورة الملك: الآية: ٢١.

(44) الطبري، تفسير الطبري، ج ٧/ص 340.

(45) سورة القصص: الآية: ٧١.

(46) الطبري، تفسير الطبري، ج ٦/ص ٤٣.

(47) سورة القصص: الآية: ٧٢.

(48) الطبري، تفسير الطبري، ج ٦/ص ٤٣.

(49) سورة المؤمنون: الآية: ٩١.

(50) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 2006م، ج ١٥/ ص ٨١.

(51) سورة الإسراء: الآية: ٤٣.

(52) الطبري، تفسير الطبري، ج ٥/ ص ٣٣.

(53) سورة الروم: الآية: ٣٥.

FOR AUTHOR USE ONLY

المبحث الثاني

حجاج المشركين في الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم

مقدّمة:

لما نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، وأمر بإنذار قومه، وبتبليغ دعوة ربّه- فصدَّ عنه قومه صدوداً وعناداً، وأنكروا وحدانية الله، كما أنكروا أن يكون محمد رسولاً إليهم، وقد حاولوا تبرير ذلك بإثارة بعض الشبهات التي حسبوا أن يطعنوا من خلالها في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن تلك الشبهات: إنكارهم أن يكون الرسول بشراً، وإنكارهم أن يكون الرسول إليهم محمد لا غيره، والمطالبة بتحقيق المعجزات أن كان رسولاً فعلاً. وقد تكفَّل القرآن الكريم بالردِّ على تلك الشبهات وتفنيدها.

FOR AUTHOR USE ONLY

الشبهة الأولى- إنكارهم أن يكون الرسول بشراً

1. قال تعالى: {وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ}[1] هذه الآية الكريمة بينت أن المشركين أبدوا عجبهم واستغرابهم أن يأتيهم رسول بشر مثلهم، ولم يُرسَل إليهم ملك من السماء.[2]

2. قال تعالى: {وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ}[3] هذه الآية الكريمة تظهر اعتراض المشركين على أن يكون الرسول بشراً مثلهم، فهو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لطلب المعاش.[4]

4. قال تعالى: {لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا}[5] أي فهلا أنزل معه ملك ينذر الناس ويصدقه على ما يقول.[6]

وقد رد عليهم القرآن الكريم بالحجج التالية:

1. قال تعالى: {وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا}[7] في هذه الآية الكريمة بيان من الله أن عدم إيمانهم بالرسول ما هو إلا عناد منهم وجهلاً، أن يكون الرسول إليهم بشراً مثلهم، غافلين في ذلك عن تأييد الله رسله بالمعجزات.[8]

2. قال تعالى: {وَمَا أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِي إِلَيۡهِمۡ }[9]

3. قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ}[10]في هذه الآية الكريمة رد على اعتراض المشركين على أن يكون الرسول بشراً، فبينت أن الرسل السابقين كانوا كذلك يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق لطلب المعاش.[11]ولا شك أنَّ هذا من ضرورات الحياة البشرية، فليس ذلك عيباً يقدح في إرسال النبي صلى الله عليه وسلم.

4. وكذلك قوله تعالى:{قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا}[12]في هذه الآية رد من الله على المشركين الذي طالبوا بأن يكون الرسول ملكاً، فكان الرد: لو كان في الأرض ملائكة يمشون في الأرض لبعث إليهم ملكاً مثلهم حتى يروه ويراهم، أما البشر فلا يمكنهم رؤية الملك على هيئته الحقيقية لاختلاف الخلق، لذلك لن يكون الملك رسولاً إليهم.[13]

5. قال تعالى: {وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ}[14]هذه الآية الكريمة فيها رد على المشركين الذين طالبوا بأن يكون الرسول إليهم ملكاً، فكان الرد بأنهم لو رأوا الملك على هيئته الحقيقية لكان ذلك هلاكهم ونهاية حياتهم، إما لأنهم عاينوا آية من آيات الله ثم لم يؤمنوا فاستحقوا الهلاك، وإما لزهاق أرواحهم من هول رؤيتهم ملكاً في هيئته الأصلية.[15]

FOR AUTHOR USE ONLY

6. قال تعالى: {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ}[16] وفي هذه الآية رد آخر على اعتراض المشركين على بشرية الرسل، والمطالبة برحيل من الملائكة، ففي هذا بيان بأنه لو أرسل إليهم ملكاً ليدعوهم، فلن يروه في صورته، لعجزهم عن ذلك لاختلاف الخلق، ولكن لرأوه في صورة رجل، وهنا سيختلط عليهم الأمر فيقولوا هذا ليس ملكاً، وإنما هو بشر مثلهم.[17]

الشبهة الثانية– إنكارهم أن يكون الرسول إليهم محمداً لا أحد غيره

1. قال تعالى:{بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ}[18]تبين هذه الآية تعجب المشركين واستغرابهم أن يأتيهم رسول منهم، يعرفون عدالته وأمانته، فيكون لهم منذر ومخوفاً لهم من عذاب الله.[19]

2. قال تعالى: {أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا}[20]في هذه الآية الكريمة يخبر الله عن المشركين، وعن اعتراضهم على أن يخص النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة دون منهم أشرف حسباً منه فيهم.[21]

وقد ردَّ القرآن الكريم على هذه الشبهة، وسنتطرق لها في المبحث التالي عند الحديث عن إنكار المشركين نزول القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم.

الشبهة الثالثة– إن كان رسولاً حقاً فليأتهم بالآيات والمعجزات التي تؤيد رسالته

1. قال تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ}[22]

2. قال تعالى: {وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ}[23]يبين الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن المشركين قد طالبوا النبي صلى الله عليه وسلم بآية كما أنزل على الأنبياء السابقين آيات من ربهم.[24]

3. قال تعالى: {وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا(90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا(91)أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا(92) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ}[25]

FOR AUTHOR USE ONLY

نزلت هذه الآيات لما عجز المشركون عن معارضة القرآن الكريم، فاجتمع رؤساؤهم كعتبة بن ربيعة وأبي سفيان والنضر بن الحارث وأمية بن خلف وأبي جهل وغيرهم، وقرروا أن يرسلوا إليه ويكلموه ويخاصموه حتى يعذروا فيه.[26]فنقل لنا القرآن حججهم ومطالبهم المراد تحقيقها من قبل النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك حتى يؤمنوا بنبوته ويصدقوه، وكانت المطالب: أن يخرج لهم عين ماء من الأرض، أو يكون له بستان من نخيل وعنب، وتفجر الأنهار خلال شجر ذلك البستان، أو تتساقط السماء عليهم قطعاً، أو يأتي بالله والملائكة فيرونهم معاينة، أو يكون له بيت من الذهب، أو يصعد في درج إلى السماء، ثم لن يصدقوا رقيه حتى يأتيهم بكتاب يأمرهم بإتباعه والإيمان به.[27]

كان رد القرآن الكريم على ذلك بالحج التالية:

1. قال تعالى: {وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا}[28]

أما ما طالب به المشركون من المعجزات كالأمم السابقة حتى يؤمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم، فرد عليهم القرآن بأنه لم يأت بالآيات التي طالبوا بها إلا أن يكذبوا بها فيهلكوا، وذلك كما حدث مع ثمود الذين كذبوا بالناقة وعقروها، فكانت سبباً في هلاكهم، وما إرسال الآيات إلا تخويفاً للعباد.[29]

2. قال تعالى: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ}[30]في هذه الآية الكريمة رد على المشركين الذين طالبوا النبي صلى الله عليه وسلم بآية حتى يؤمنوا به، فجاء الرد عليهم(ألم يكفهم) أن هذا القرآن آية باقية لا تزول في كل مكان وزمان.[31]

3. قال تعالى: {قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا}[32] في هذه الآية الكريمة رد من الله على المشركين الذين طالبوا النبي صلى الله عليه وسلم بطلباتهم السابقة حتى يؤمنوا ويتبعوه، فأمر نبيه أن يقول لهم سبحان ربي ما أنا إلا

FOR AUTHOR USE ONLY

بشر يوحى إلي، ويفعل الله ما يشاء من الأشياء التي طالبتم بها، وليست من مقدور فعل البشر ولا اقترح على ربي إنزال الآيات، ولم يكن الرسل قبله صلى الله عليه وسلم يقترحون على الآيات وكل ما يطلبه قومهم منهم، فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم مثل الرسل السابقين وسبيله سبيلهم في ذلك.[33]

4. قال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا}[34]وهذه الآية رد على المشركين الذين اعترضوا على أكل الرسول الطعام ومشيه في الأسواق، فبينت أن الله قادر على أن يجعل لرسوله خيراً من ذلك، فيجعل له جنات تجري من تحتها الأنهار، ويجعل له القصور(البيوت المبنية).[35]

ويتضح مما سبق أن القرآن الكريم قد تكفَّل بالرد على الشبهات التي أثارها المشركون اعتراضاً على نبوَّة النبي صلى الله عليه وسلم، كما اتضح أنَّ تلك الشبهات ما هي إلا محاولات تبريريَّة تعلَّل بها المشركون ليغطوا بها عن عنادهم ورفضهم لقبول الحق البين الظاهر الذي لا يحتاج إلى دليل، ومع ذلك تمَّ الرد عليهم لإقامة الحجة عليهم، ولفضح عنادهم ورفضهم لقبول الحق.

FOR AUTHOR USE ONLY

هوامش المبحث الثاني:

---

(1) سورة ص: الآية: ٤.

(2) الطبري، تفسير الطبري، ج: ٦، ص: ٣٣٤.

(3) سورة الفرقان: الآية: ٧.

(4) الطبري، تفسير الطبري، ج: ٥، ص: ٤٥٩.

(5) سورة الفرقان: الآية:7.

(6) الطبري، تفسير الطبري، ج: ٥، ص: ٤٥٩.

(7) سورة الإسراء: الآية: ٩٤.

(8) القرطبي، الجامع في أحكام القرآن، ج: ١٣، ص: ١٧٧.

(9) سورة النحل: الآية: ٤٣.

(10) سورة الفرقان: الآية: ٢٠.

(11) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: ١٥، ص: ٣٨٢.

(12) سورة الإسراء: الآية: ٩٥.

(13) الطبري، تفسير الطبري، ج: ٥، ص: ٦٩.

(14) سورة الأنعام: الآية: 8.

(15) الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: ٣٢٠.

FOR AUTHOR USE ONLY

(16) سورة الأنعام: الآية: ٩.

(17) الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: ٣٢٠.

(18) سورة ق: الآية: ٢.

(19) الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: ١٠٤٣.

(20) سورة ص: الآية: ٨.

(21) الطبري، تفسير الطبري، ج: ٦، ص: ٣٣٦.

(22) سورة القصص: الآية: ٤٨.

(23) سورة العنكبوت: الآية: ٥٠.

(24) الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: ٨٢١.

(25) سورة الإسراء: الآية: (٩٠- ٩٣).

(26) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: ١٣، ص: ١٧٢.

(27) الطبري، تفسير الطبري، ج: ٥، ص: (٦٥- ٦٨).

(28) سورة الإسراء: الآية: ٥٩.

(29) الطبري، تفسير الطبري، ج: ٥، ص: (٤٢- ٤٣).

(30) سورة العنكبوت: الآية: ٥١.

(31) الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: ٨٢١.

(32) سورة الإسراء: الآية: ٩٣.

(33) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: ١٣، ص: ١٧٧.

FOR AUTHOR USE ONLY

(34) سورة الفرقان: الآية: ١١.

(35) الطبري، تفسير الطبري، ج: ٥، ص: ٤٦٠.

FOR AUTHOR USE ONLY

المبحث الثالث

حجاج المشركين في الإيمان بالقرآن الكريم

مقدّمة

ذُكِرَ في المبحث السابق إنكار المشركين نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، بل وصل بهم الأمر إلى الاعتراض على أن يكون الرسول إليهم بشراً، وأثاروا حول ذلك الشبهات الأباطيل، وقد تكفَّل القرآن الكريم بالرد عليهم وإبطال أباطيلهم ودحض شبهاتهم.

وهذا المبحث له علاقة وثيقة بالمبحث السابق، حيث يتناول إنكار المشركين أن يكون هذا القرآن منزلاً من عند الله تعالى، كما فيه بيان لردِّ القرآن الكريم على الشبهات التي أثاروها من: تشكيك في كونه كلام الله، والزعم بأنَّه افتراء من النبي صلى الله عليه وسلم، واللغو فيه، والاعتراض على تنزيله على النبي صلى الله عليه وسلم وليس على رجل من عظمائهم. وبيان ردِّ القرآن الكريم على تلك الشبهات وإبطالها كذلك.

FOR AUTHOR USE ONLY

الشبهة الأولى– إنكار كونه كلام الله

شكَّك المشركون في أن يكون القرآن كلام الله، وأنَّه أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأثاروا في ذلك بعض الشبهات التي تشكك في ماهية القرآن الكريم، ومن ذلك:

1.قولهم إنه شعر وليس بكلام الله، وقد تعالى عن قولهم {وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ} [1]

في هذه الآية الكريمة يبين الله تعالى عن هذا القرآن ليس شعراً، لأن محمداً لا يحسن قول الشعر، حتى تقولوا عن القرآن الكريم إنه شعر، وقليلاً تصدقون به.[2]

2.قولهم إنه سجع كسجع الكهان، وقد أخبر الله تعالى عن قولهم هذا في قوله تعالى:{وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ

قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ}[3] في هذه الآية أيضاً خطاب للمشركين الذين قالوا عن القرآن بأنَّه سجع كسجع الكهان، فبينت لهم أنَّه ليس من سجع الكهان، لأنَّ محمداً ليس بكاهن، وقليلاً ما تتعظون به وتعتبرون.[4]

ردُّ القرآن على تلك الشبهة بالآتي:

1.التأكيد على أنه كلام الله: وقد جاءت كثير من الآيات التي تؤكد على أنه منزل من عند الله، ومن ذلك قوله تعالى: { قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا}[5]

في هذه بيان أنه منزل من عند الله الذي يعلم كل سر خفي في السماء والأرض، ويأتي من ضمنه ما يرونه من كيدهم للنبي صلى الله عليه وسلم وما يصفونه به بأنه قد افترى القرآن.[6]

2.عجز الشياطين عن التنزُّل به: وذلك كما تتنزَّل الشياطين على الكهنة فتوسوس لهم، وقد قال تعالى عن ذلك: {وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (210) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ(211) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُون}[7]

في هذه الآيات الكريمة ردٌّ على المشركين الذين جعلوا القرآن من سجع الكهان، وفيها بيان لنفي ذلك، لأنَّ الشياطين تعجز عن التنزُّل به، لأنَّها تُرجَم بالشهب، فهي في عزلة عن الاستماع لكلام أهل السماء.[8]

الشبهة الثانية– القرآن من افتراء محمد

وقد تكرر هذا الادعاء على ألسنة المشركين، وذلك بغرض التشكيك في القرآن الكريم، ومن ذلك ما جاء ذكره في الآيات التالية:

1. ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى:{أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ}[9]

في هذه الآية الكريمة ينقل الله تعالى قولهم بأن القرآن من اختلاق وتقول النبي صلى الله عليه وسلم، وهم كاذبون في ذلك، ولا يريدون أن يصدقوا به.[10]

2. وقوله تعالى: {وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا }[11]

FOR AUTHOR USE ONLY

في هذه الآية الكريمة يذكر الله تعالى الشبهة التي أثارها المشركون بشأن القرآن، وقد زعموا بأنَّه مما سطره القدماء من أحاديث، وقد كتبها له كاتب، وهي تُلقَى عليه بكرة وأصيلاً.[12]

3. وقوله تعالى: {وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَاءُو ظُلْمًا وَزُورًا}[13] في هذه الآية الكريمة ينقل الله تعالى ما أثاره المشركون من شبهة افتراء القرآن الكريم من قِبَل النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك بإعانة نفر من أهل الكتاب، وكل ذلك كان ظلماً وزواً.[14]

4. وقوله تعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ}[15]في هذه الآية الكريمة ذكر لقول المشركين الذين زعموا أنَّ هنالك من يعلم النبي صلى الله عليه وسلم هذا القرآن الذي يتلوه عليهم.[16]

كانت تلك طائفة من أقوال المشركين الذين زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اختلق هذا القرآن، ثم تختلف تلك الأقوال في مدى ذلك الاختلاق ونوعه، فيزعم بعضهم أنَّه أحاديث قديمة، وبعضهم يعدُّه مجرد اختلاق، وبعضهم الآخر يراه اختلاق من النبي بمساعدة آخر أو آخرين.

FOR AUTHOR USE ONLY

ردُّ القرآن على تلك الشبهة بالآتي:

1. أنَّهم يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم جيداً لميلاده ونشأته بينهم، قال تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم:{ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}[17] في هذه الآية الكريمة بيان ورد على المشركين الذين زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد افترى هذا القرآن، فجاء الرد بأنه قد لبث فيهم زمناً طويلاً وهم يعرفونه خلال تلك الفترة الطويلة لم يظهر منه ما يدل على أنَّه مهتم بتواضع علم وبيان حتى يتهموه باختراع القرآن، إذاً فهم يعلمون أنَّه كلام الله ومن عنده لو كانوا يعقلون.[18]

2. أنَّ النبي صلى الله عليه كان أمياً،يقول الله تعالى في هذا: {وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ}[19] في هذه الآية الكريمة يخاطب الله نبيه صلى الله عليه وسلم والكلام موجه المشركين الذين شككوا في القرآن الكريم، فيقول الله تعالى: يا محمد لم تتلُ كتاباً ولم تخطه بيمينك قبل أن ننزل عليك هذا القرآن، ولو سبق منك ذلك لارتاب ولشكك المبطلون فيه.[20]

3. أنَّ الشخص الذي يدعون أنه يعين النبي على افتراء القرآن أعجمي، وقد جاء القرآن بلسان عربي مبين، قال تعالى:{لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ}[21]في هذه الآية الكريمة ردٌّ من الله تعالى على المشركين الذين زعموا إنَّما يعلمه هذا القرآن بشر، فقد زعموا أنَّ عبداً رومياً يعلم النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء الرد بأنَّ من زعمتم أنَّه يعلمه أعجميٌّ، وهذا القرآن كلام عربيٌّ مبين.[22]

4.تحداهم بأن يفتروا مثله إن كان الأمر مجرد افتراء على حسب زعمهم، قال تعالى: {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ}[23]في هذه الآية الكريمة يتحدى الله تعالى المشركين على الإتيان بمثله، إذا كان تقولاً واختلاقاً من النبي صلى الله عليه وسلم كما يقولون، فهم أيضاً أهل لسان فلن يتعذر عليهم ذلك إن كانوا صادقين في زعمهم الذي زعموه.[24] وقال تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ}[25] وفي هذه الآية أيضاً تحدى الله المشركين على أن يأتوا بسورة مثله، وهم مثل النبي صلى الله عليه وسلم في الفصاحة، هذا إن كانوا صادقين في زعمهم بأنَّ القرآن افتراء من النبي صلى الله عليه وسلم.[26] وقال تعالى أيضاً: {قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}[27] في هذه الآية كذلك تحدى الله الذين قالوا أنَّ القرآن افتراء من النبي صلى الله عليه وسلّم، وبيَّن لهم أن الإنس والجن تعجز عن الإتيان بمثله حتى ولو كان بعضهم عوناً وظهيراً لبعض.[28]

FOR AUTHOR USE ONLY

وقد عجز المشركون عن الإتيان بمثله، حتى إنهم لجئوا إلى حيل أخرى لمنع تأثير القرآن على الناس، لعلمهم بأنَّه حق، يقول الله تعالى عن ذلك: {وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ}[29] في هذه الآية الكريمة فضح الله تعالى مكر المكذبين بالقرآن وتحايلهم على منع تأثيره الحق بهداية الناس إلى الطريق القويم، وذلك عن طريق رفع الأصوات بالخرافات والهذيان، حتى يُشوَّش على القارئ ومن يستمع له.[30]

ويتضح من كل هذا أن المشركين كانوا يعلمون بأن القرآن حق ومنزل من عند الله، ولكن كبرهم وعنادهم منعاهم من الإقرار والإذعان له.

بعض اعتراضات المشركين في أمور تتعلَّق بالقرآن

تنوعت أقوال المشركين في الطعن في القرآن الكريم، والتشكيك في مصداقيته، هذا على الرغم من علمهم التام بأنَّه منزل من عند الله، ولكنه لأنَّه يخالف مصالحهم الخاصة، أو لا يوافق أهوائهم، وهذه طائفة من تلك الاعتراضات التي تكشف عن ذلك، وهي:

FOR AUTHOR USE ONLY

1. اعتراضهم على نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم، وعدم نزوله على رجل من عظمائهم، قال تعالى في شأنهم: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هُذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ}[31] تبيِّن هذه الآية اعترض المشركين على نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم، وعدم نزوله على أحد من زعماء القريتين، ويقصدون بذلك عدم نزوله على أحد رجلين هما: الوليد بن المغيرة المخزوميُّ، وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفيُّ، وقيل الرجلان هما: عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل، وقيل هما: الوليد بن المغيرة المخزوميُّ، وعروة بن مسعود الثقفيُّ، وخلاصة الأمر أنَّ اعتراضهم هنا ليس على القرآن في ذاته وإنما اعتراضهم على من أنزل عليه.[32] فرَدَّ الله تعالى عليهم بقوله: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ

خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ }[33]احتوت هذه الآية على ردٍّ مفحم المشركين في اعتراضهم على نزول القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم دون عظمائهم، فبيَّنت أنَّهم لا يملكون أمر تقسيم معيشتهم بينهم، وقد قسمها الله بينهم، إذ باين بينهم في القوة والضعف والغنى والفقر، فأصبح كل منهم في حاجة إلى الآخر في تصريف أموره، فإذا كان هذا حالهم في أمور الدنيا، فكيف لهم أن يطمعوا في تدبير أمر من أمور الدين كالنبوة مثلاً، والتي هي رحمة الله الكبرى لعباده، وهو وحده القادر على تدبيرها وصرفها إلى من يصلح لتولي أمرها، وقد أفاد الاستفهام في أول الآية الإنكار والتعجب من اعتراضهم على ذلك.[34]

2. اعتراضهم على نزول القرآن مفرقاً، وعدم نزوله جملة واحدة كبقية الكتب السماوية الأخرى، يقول الله تعالى عن ذلك: {وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً}[35]في هذه الآية الكريمة بيان لاعتراض المشركين على نزول القرآن مفرقاً، وعدم نزوله جملة واحدة كما نزلت الكتب السماوية الأخرى كالتوراة مثلاً.[36]فكان الرد عليهم في قوله تعالى: {كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا}[37]وهذا بيان لكونه نزل مفرقاً حتى يقوى به عزيمة النبي صلى الله عليه وسلم ويصح يقينه، كما أنَّ في ذلك تشجيعاً له صلى الله عليه وسلم، ولتعليمه وتحفيظه إيَّاه شيئاً فشيئاً.[38]

3. اعتراضهم على القرآن لأنَّه يتعرض لآلهتهم بالنقد وبيان منزلتها الحقيقية، والمطالبة بقرآن لا يتناولها بالنقد، وقد ذكر ذلك في قوله تعالى: {وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ}[39]في هذه الآية يكشف الله تعالى أمر المشركين وقد غاظهم ما يتعرَّض به القرآن الكريم لآلهتهم بالذم، فطلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يبدِّله بوضع آيات أخرى في المواضع التي يتعرَّض فيها لآلهتهم بالذم، أو ليأتيهم بقرآن آخر ليس فيه شيء من ذلك.[40] فكان الرَّد عليهم بأن أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله: {قُلْ مَا يَكُونُ لِى أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِى إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}[41]

FOR AUTHOR USE ONLY

يلاحظ في الآية الكريمة أنَّ الله تعالى أمر نبيه بالإجابة عن قولهم بتبديل آية مكان أخرى، ولم يؤمر بالإجابة عن قولهم بالإتيان بغير هذا القرآن، وذلك لأنَّ التبديل داخل في مقدور الإنسان كأن يضع مثلاً آية رحمة في مكان آية عذاب، أما الإتيان بغيره فهذا ليس في مقدور البشر. ثم بينت الآية أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم يتَّبع ما يوحى إليه، فلن يعصي ربه بتبديل آية مكان أخرى من نفسه، لأنَّه يخاف عذاب ربِّه يوم القيامة.[42]

يتضح ممَّا سبق ذكره أنَّ المشركين قد أثاروا الشبهات حول ماهيَّة القرآن الكريم، والتشكيك في كونه منزل من الله تعالى، كما أظهروا بعض الاعتراضات فيما يتعلَّق ببعض من أمور القرآن الكريم، وقد تكفَّل القرآن بإبطال أكاذيبهم وتخرصاتهم، كما نسف اعتراضاتهم المدفوعة بأهوائهم، بل وتحداهم بأن يأتوا بمثله إن كانوا صادقين، وهذا التحدي سيظل قائماً إلى يوم الدين لكلِّ من تسوِّل له نفسه إنكار تنزيله من عند الله تعالى، أو التشكيك في صحته وأحقيته بالإتباع.

FOR AUTHOR USE ONLY

هوامش المبحث الثالث:

---

(1) سورة الحاقة: الآية: ٤١.

(2) الطبري، تفسير الطبري، ج: ٧، ص: ٣٦٥.

(3) سورة الحاقة: الآية: ٤٢.

(4) الطبري، تفسير الطبري، ج: ٧، ص: ٣٦٥.

(5) سورة الفرقان: الآية: ٦.

(6) الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: ٧٣٩0.

(7) سورة الشعراء: الآية: (٢١٠- ٢١٢).

(8) الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: ٧٧١.

(9) سورة الطور: الآية: ٣٣.

(10) الطبري، تفسير الطبري، ج: ٧، ص: ١٣٤.

(11) سورة الفرقان: الآية: ٥.

(12) الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: ٧٣٩.

(13) سورة الفرقان: الآية: ٤.

(14) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: ١٥، ص: ٣٦٨.

(15) سورة النحل: الآية: ١٠٣.

(16) الطبري، تفسير الطبري، ج: ٤، ص: ٥٥٩.

FOR AUTHOR USE ONLY

(17) سورة يونس: الآية: ١٦.

(18) الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: ٤٥٩.

(19) سورة العنكبوت: الآية: ٤٨.

(20) الطبري، تفسير الطبري، ج: ٦، ص: ٨٠.

(21) سورة النحل: الآية: ١٠٣.

(22) الطبري، تفسير الطبري، ج: ٤، ص: ٥٥٩.

(23) سورة ن: الآية: ٣٤.

(24) الطبري، تفسير الطبري، ج: ٧، ص: ١٣٥.

(25) سورة يونس: الآية: ٣٨.

(26) الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: ٦٦٤.

(27) سورة الإسراء: الآية: ٨٨.

(28) الطبري، تفسير الطبري، ج: ٥، ص: ٦٥.

(29) سورة فصلت: الآية: ٢٦.

(30) الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: ٩٦٨.

(31) سورة الزخرف: الآية: ٣١.

(32) الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: ٩٨٩.

(33) سورة الزخرف: الآية: ٣٢.

(34) الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: ٩٨٩.

FOR AUTHOR USE ONLY

(35) سورة الفرقان: الآية: ٣٢.

(36) الطبري، تفسير الطبري، ج: ٥، ص: ٤٦٩.

(37) سورة الفرقان: الآية: ٣٢.

(38) الطبري، تفسير الطبري، ج: ٥، ص: ٤٦٩.

(39) سورة يونس: الآية: ١٥.

(40) الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: ٤٥٨.

(41) سورة يونس: الآية: ١٥.

(42) الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: ٤٥٨.

FOR AUTHOR USE ONLY

المبحث الرابع

حجاج المشركين في الإيمان بالملائكة

زعم المشركين عن الملائكة

زعم المشركون أنَّ الملائكة إناث، وأنَّها بنات الله، وقد تنزه الله عن ذلك وعلا علواً كبيراً، وسجل القرآن الكريم أقوالهم في ذلك، وتكفَّل بالردِّ عليها، وبيان فسادها، وهذه طائفة من الآيات التي تسجل ذلك:

1. قال تعالى: {وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ} [1] في الآية الكريمة ذكر لقول المشركين: أنَّ الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك وعلا علواً كبيراً، فهم يجعلون له البنات، ويدعون لأنفسهم بما يشتهون(البنين).[2]

2. قال تعالى: {فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (149) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (150) أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (151) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ }[3]

في هذه الآيات الكريمة ذكر لشبهة المشركين عن الملائكة بأنهم إناث وإنهم ولد الله، فهل شهدوا خلق هذه الملائكة حتى يدعون بأنها إناث، ومع ذلك من كذبهم ليقولون عن الملائكة إنها ولد الله، كل ذلك كذباً وأفكا وافتراء على الله تعالى.[4]

3. قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ}[5]في هذه الآية الكريمة يذكر الله تعالى أن المشركين يجعلون الملائكة إناثاً، إذ يسمونها بنات الله.[6]

كانت تلك طائفة من الآيات التي ذكرت شبهة المشركين في الملائكة، والتي تتلخص في أمرين هما:

الأول: أنَّ الملائكة إناث، والآخر: أنَّها بنات الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

FOR AUTHOR USE ONLY

الرد على شبهة المشركين

وقد أبطل الله تعالى تلك الشبهة التي أثاروها من جانبيها، فمن جانب قولهم بأنَّها إناث كان الرد عليهم كما يلي:

1. عدم حضور المشركين وقت خلق الملائكة فمن أين لهم أن يعرفوا بأنَّها إناث، قال تعالى: { وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ}[7] في هذه الآية الكريمة ذكر الله تعالى أن المشركين قد جعلوا الملائكة إناثاً، فهل شهدوا خلق الملائكة حتى يصفونها بأنها إناث، وقد بين الله تعالى أن قولهم هذا سيكتب وسيسألون عنه في الآخرة، وسيطالبون بالبرهان عليه.[8]

2. إنَّ قولهم ذلك لا يقوم على مشاهدة ولا علم: قال تعالى: {إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى (27) وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا}[9]

في هاتين الآيتين الكريمتين بيان بأنَّ المشركين يجعلون الملائكة إناثاً ظنّاً وتوهماً بغير علم، ولا يغني الظن عن الحقِّ في كشف حقيقة الشيء وماهيَّته، لأنَّ ذلك لا يكون إلا بالعلم والمعرفة، وهذا الذي تفتقد إليه دعواهم تلك.[10]

3. تقريعهم وتوبيخهم بأنَّ هذا الذي جعلوه لله لا يرضونه لأنفسهم، قال تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ}[11]وفي هذه الآية بيان لمدى كراهية المشركين للإناث، حتى إذا بشر أحدهم بميلاد أنثى اسود وجه حزناً من ذلك.[12]

أما من جانب قولهم بأنَّها بنات الله فكان الرد عليهم كما يلي:

1. لا معقولية أن يكون لله ولد- وقد تعالى عن ذلك- ولم تكن له زوجة: قال تعالى عن ذلك:

{بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ}[13]في هذه الآية الكريمة رد مفحم على المشركين الذين جعلوا الملائكة بنات الله، فبيَّن لهم أنَّ الله خالق السماوات والأرض

FOR AUTHOR USE ONLY

على غير مثال سابق، ومن كانت صفته تلك فكيف يكون له ولد، كما أنَّ الولادة لا تكون إلا بين زوجين من جنس، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وبما أنَّه ليس له زوجة فلا تصح تلك الولادة المزعومة، فضلاً عن أنَّ الله خالق كل شيء فما حاجته إلى ولد، والولد من طلب المحتاج، والله غني كل الغنى عن عباده وهم فقراء إليه.[14]

2. لو كان له ولد كما يزعمون لكان الرسول صلى الله عليه وسلم أول العابدين له: يقول تعالى عن ذلك: { قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ}[15]في هذه الآية الكريمة يأمر نبيه أن يقول المشركين:إن كان لله ولد فأنا أول من يعبده، والمعنى بما أنه ليس له ولد، فلذلك أنا أعبده وحده ولا أشرك به شيئاً.[16]

ويتضح مما سبق أنَّ القرآن قد أبطل شبهة المشركين القائلة بأنَّ الملائكة بنات الله، وقد أقام عليهم الحجة إذ طالبهم بالدليل على قولهم سواء أكان ذلك بالمشاهدة لخلق الملائكة أم كان ذلك عن طريق العلم والإدراك، وقد اتضح أنَّ قولهم هو مجرد افتراء لا يستند على شيء سوى الظن، كما أنَّ العقل السليم المدرك لعظمة الخالق لا يقبل أن يستجيب لقول كهذا، لأنَّ الخالق المبدع تنتفي حاجته إلى الخلق ناهيك أن يتخذ منهم ولداً، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

FOR AUTHOR USE ONLY

هوامش المبحث الرابع:

---

(1) سورة النحل: الآية: ٥٧.

(2) الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: ٥٧٥.

(3) سورة الصافات: الآية: (١٤٩- ١٥٢).

(4) الطبري، تفسير الطبري، ج: ٦، ص: ٣٢٧.

(5) سورة النجم: الآية: ٢٧.

(6) الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: ١٠٦١.

(7) الزخرف: الآية: ١٩.

(8) الطبري، تفسير الطبري، ج: ٦، ص: ٥١٤.

(9) سورة النجم: الآية: (٢٧- ٢٨).

(10) الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: ١٠٦١.

(11) سورة الزخرف: الآية: ١٧.

(12) الطبري، تفسير الطبري، ج: ٦، ص: ٥١٢.

(13) سورة الأنعام: الآية: ١٠١.

(14) الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: ٣٤٠.

(15) سورة الزخرف: الآية: ٨١.

(16) الطبري، تفسير الطبري، ج: ٦، ص: ٥٣٧.

FOR AUTHOR USE ONLY

المبحث الخامس

حجاج المشركين في الإيمان بالبعث والنشور

معنى البعث

يأتي البعث في كلام العرب لمعنيين: أحدهما: الإرسال، وذلك كما في قوله تعالى: {ثم بعثنا من بعدهم موسى}[1] أي: أرسلنا، والآخر إحياء الموتى، وذلك كما في قوله تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ}[2] أي أحييناكم.[3] كما يستخدم لفظ (النشر) مرادفاً للبعث، وهو من"نشر الله الميت ينشره مشيراً ونشوراً، وأنشره فنشر الميت لا غير: أحياه.".[4]

موقف المشركين من البعث

أنكر مشركو العرب قضية البعث بعد الموت، وجادلوا في ذلك جدلاً طويلاً، ومن ذلك ما نزل في الوليد بن المغيرة وصحبه وجاء على لسانهم في قوله تعالى: {وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا}[5] وفي قولهم هذا تعجب واستنكار واستبعاد البعث بعد الموت،[6] فجاء رد القرآن الكريم على استفهامهم بقوله تعالى: { قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا، أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}[7] وهنا رد القرآن على قولهم (كنا) ب(كونوا)، أي كأنَّما قيل لهم كونوا حجارة أو حديداً أو أي شيء مما يكبر في نفوسكم ولا تكونوا عظاماً، فإن الله قادر على أن يبعثكم،وقد جاء الرد على استفهامهم بصيغة الأمر هنا في قوله(كونوا) والغرض من ذلك التعجيز والإهانة والتوبيخ.[9]وذلك رداً على تعجبهم واستبعادهم للبعث، ثم قرن ذلك بدليل عقليٍّ تسّلم به عقولهم ألا وهو اعترافهم بأن الله هو خالقهم، لذلك رد عليهم بأنه عندما سألوا من سيعيدهم: { قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ }[10]ثم يبيِّن الله تعالى في موضع آخر من السورة مآلهم يوم القيامة، وما ينتظرهم من

FOR AUTHOR USE ONLY

عقاب بالسحب في نار جهنم على وجوههم وهم عميا وصما وبكما، يقول تعالى: {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا(97) ذَلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا(98) أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ}[11] فرد الله سبحانه وتعالى على استفهامهم بدليل عقلي آخر ألا وهو الاستدلال بخلق الله السماوات والأرض، ولا شك أن من خلق السماوات والأرض على كبرهما فهو قادر على خلق غيرهما من الإنس والجن، وذلك كما في قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ}[12]وجاء الرد على استفهامهم هنا بأسلوب الاستفهام، والغرض منه الإنكار عليهم وتوبيخهم وتقريعهم،[13]لأنَّهم يعلمون بدليل العقل قدرة خالق السماوات والأرض على خلق أمثالهم من الإنس، لأن خلقهم ليس بأكبر من خلقهن.[14]

والردُّ على استفهام الكفار عن البعث باستفهام آخر ظاهرة بلاغية ملحوظة ومنها ما جاء في قوله تعالى: {وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا(66) أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا}[15] فاستفهام الإنسان(والمراد الكفار) يراد به الاستنكار والاستبعاد،[16]فجاء الرد عليه باستفهام آخر يدل على الإنكار والتوبيخ والتقريع.[17]وقد بيَّن الله تعالى لهم أنَّ ما يقولونه من إنكار البعث هو عين ما كان يقوله الكفار من قبلهم من الأمم السابقة، ويقول الله تعالى عنهم:{بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ (81) قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (82) لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}[18] واستفهامهم هنا يراد به الإنكار والاستبعاد،[19]وجاء ردُّ القرآن على استفهامهم الذي يقصد به الإنكار والاستبعاد باستفهام فيه استهانة بهم لجهلهم بالديانات، ولجهلهم أمراً بيِّناً ظاهراً كهذا، إذ يقول الله تعالى: { قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[20]

FOR AUTHOR USE ONLY

ثم ذكر الله تعالى ما سيقولونه: {سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}[21] والمعنى لو كنتم تعلمون أنَّ الله هو من فطر السماوات والأرض على غير مثال سابق فستعلمون أنَّه قادر على إعادة خلقكم.[22]

يتضح مما سبق أن المشركين قد أنكروا البعث كبراً وافتراء على الله، ولم يستندوا في إنكارهم على أي دليل من العلم أو العقل، ومع ذلك حرص القرآن الكريم على إقامة الحجة عليهم، وهذا من عظمة القرآن وأنه خاتم الرسالات السماوية، إذ تظل هذه الأدلة التي أقامها على المشركين في موضوع صالحة الرد وإفحام كل من ينكر هذه القضية إلى قيام الساعة.

FOR AUTHOR USE ONLY

هوامش المبحث الخامس:

---

(1) سورة يونس: الآية: 75.

(2) سورة البقرة : الآية: 56.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة: (بعث) ج: ٢، ص: ١١٧.

(4) المرجع السابق، مادة(نشر)، ج: ٥، ص: ٢٠٦.

(5) سورة الإسراء: الآية: ٤٩.

(6) أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عبد الرازق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ت. د)، ج: ٦، ص: ٥٥.

(7) سورة الإسراء: الآية: ٥٠.

(8) الزمخشري، محمود بن عمر، تفسير الكشاف، تعليق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط: ٣، ٢٠٠٩م، ص: ٥٩٩.

(9) مخيمر صالح، معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم، دار الكتاب الثقافي، إربد، ٢٠٠٥م، ص: ٦٨.

(10) سورة الإسراء: الآية: ٥٠.

(11) سورة الإسراء: الآية: (٩٧- ٩٨).

(12) سورة الإسراء: الآية: ٩٩.

FOR AUTHOR USE ONLY

(13) مخيمر صالح، معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم، ص: ٣٥.

(14) الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: ٦٠٩.

(15) سورة مريم: الآية: (٦٦-٦٧).

(16) الزمخشري، تفسير الكشاف، ص: ٦٤٢.

(17) مخيمر، معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم، ص: ٣٥.

(18) سورة المؤمنون: الآية: (٨١-٨٣).

(19) مخيمر، معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم، ص: ٣٦.

(20) سورة المؤمنون: الآية: ٨٤.

(21) سورة المؤمنون: الآية: ٨٥.

(22) الزمخشري، تفسير الكشاف: 7.

FOR AUTHOR USE ONLY

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

1. أبوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، 2006م.

2. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عبد الرازق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).

3. الزمخشري، محمود بن عمر، تفسير الكشاف، تعليق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط: ٣، ٢٠٠٩م.

4. الطبري، تفسير الطبري، تحقيق: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994م.

5. طه عبد الرحمن، اللسان والميزن أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998م.

6. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 2006م.

7. مخيمر صالح، معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم، دار الكتاب الثقافي، إربد، ٢٠٠٥م.

8. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د. ت).

FOR AUTHOR USE ONLY

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	3
المبحث الأول: السلم الحجاجيُّ في خطاب القرآن المكيِّ: توحيد الإلوهية نموذجاً	(4-15)
المبحث الثاني: حجاج المشركين في الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم	(16-23)
المبحث الثالث: حجاج المشركين في الإيمان بالقرآن الكريم	(24-33)
المبحث الرابع: حجاج المشركين في الإيمان بالملائكة	(34-37)
المبحث الخامس: حجاج المشركين في الإيمان بالبعث والنشور	(38-42)
المصادر والمراجع	43

FOR AUTHOR USE ONLY

FOR AUTHOR USE ONLY

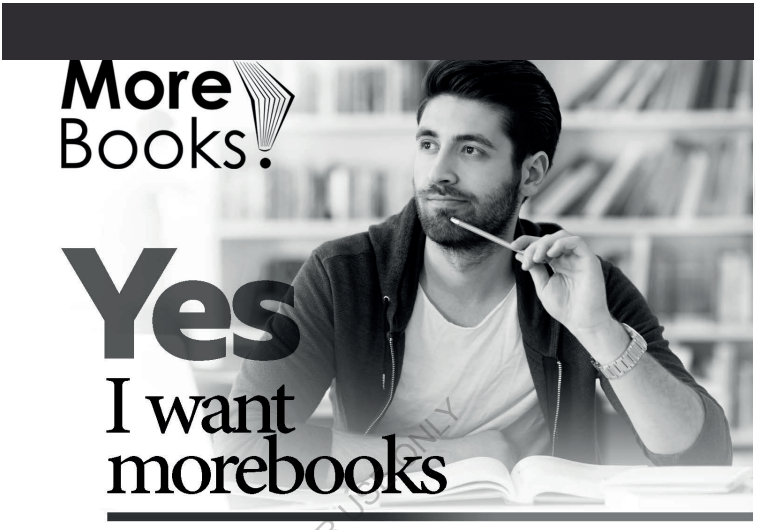

اشتري كتبك سريعا و مباشرة من الأنترنيت, على أسرع متاجر الكتب الالكترونية في العالم
بفضل تقنية الطباعة عند الطلب, فكتبنا صديقة للبيئة

اشتري كتبك على الأنترنيت
www.morebooks.shop

FOR AUTHOR USE ONLY

Kaufen Sie Ihre Bücher schnell und unkompliziert online – auf einer der am schnellsten wachsenden Buchhandelsplattformen weltweit! Dank Print-On-Demand umwelt- und ressourcenschonend produziert.

Bücher schneller online kaufen
www.morebooks.shop

info@omniscriptum.com
www.omniscriptum.com

OMNIScriptum

FOR AUTHOR USE ONLY

FOR AUTHOR USE ONLY